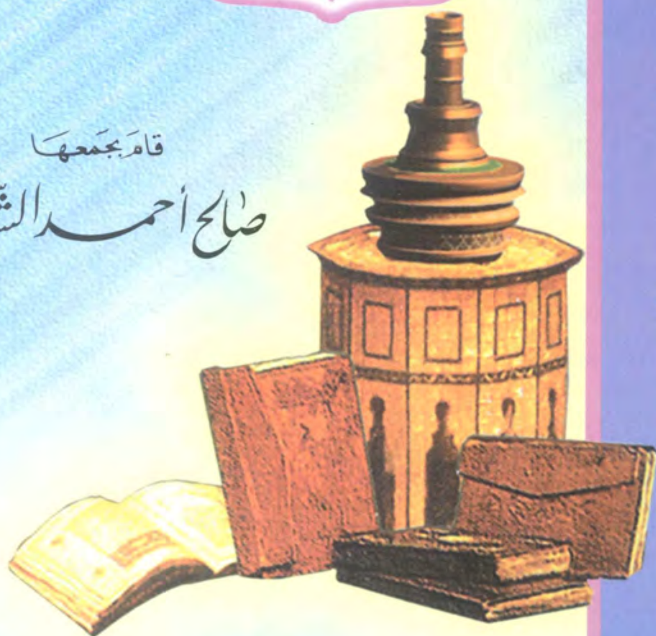
مواعِظ

الإمام عبد الله بن المبارك

(ت ١٨١ هـ)

قام بجمعها

صالح أحمد الشامي



المكتب الإسلامي

مَعَالِمُ فِي التَّرْبِيَةِ وَالدَّعْوَةِ

مَوَاعِظُ
الإمام عبد الله بن المبارك

(ت ١٨١ هـ)

قام بجمعها

صالح أحمد الشّامي

المكتب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين. وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد النبي الأمي، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وَبَعْدُ:

فهذا كتاب آخر يأخذ مكانه في سلسلة «معالم في التربية والدعوة» متحدثاً عن أمير المؤمنين في الحديث. عبد الله بن المبارك، من خلال مواعظه التي كان ينصح الناس بها، وتوجيهاته التي كان يسعى في طرحها على أسماع المسلمين علَّها تكون وسيلة في إصلاح من انحرف منهم، وتذكيراً لمن سها، وشحذاً لهمة من سيطر عليه الكسل.

وإذا كنا نقدم هذه النصائح والمواعظ في هذا الكتاب الصغير، فيحسن بنا أن نذكِّر: بأن ابن المبارك سافر مسافةً تزيد على ألف كيلٍ ليسمع كلمة من كلمات الحسن البصري رحمه الله.

وفي هذا ما فيه من الدلالة على مكانة الكلمة لدى سلف هذه الأمة، رحمهم الله تعالى.

فقد سافر من مرو إلى بلاد الري، حيث التقى بهارون بن المغيرة الذي قال: قدم عليَّ ابن المبارك، فجاء إليَّ وهو على الرحل، فسألني عن قول الحسن. فقلت: سمعت إسماعيل بن مسلم عن الحسن قال: لا تشترِ مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد.

فقال ابن المبارك: ما وضعت رحلي من مرو إلا لهذا الحديث.

وعالمنا رحمه الله، هو العالم المحدث، والعالم الفقيه، والعالم الشاعر.. وهو في الحديث أشهر منه في الفقه، وفي الفقه أشهر منه في الأدب.

وهو ليس من العلماء الذين يجلسون للوعظ، ولكن مواعظه سمعت منه في المناسبات فنقلها لنا من سمعها. رحمهم الله تعالى.

فالله المرجو أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهو ولي التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شعبان ١٤١٨هـ	كتبه
كانون أول ١٩٩٧م	صالح أحمد الشامي

ترجمة ابن المبارك

عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم، أبو عبد الرحمن. وأمه خوارزمية ولد سنة ثماني عشرة ومائة.

ولد في مدينة مرو، أشهر مدن خراسان.

وكان أبوه رجلاً صالحاً، يعمل في بستان مولاه.

ويحكى أنه جاءه يوماً وطلب منه رماناً حلواً، فأحضر له رماناً، فوجده حامضاً. فقال له: أطلب الحلو فتحضر الحامض؟ هات حلواً، فذهب مبارك إلى شجرة أخرى.. فلما كسره وجده حامضاً.

فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟

فقال: لا.

قال: وكيف ذلك؟

فقال: لأني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه.

فقال: ولِمَ لم تأكل؟

قال: لأنك ما أذنت لي بالأكل منه.

فعجب من ذلك صاحب البستان.. وتأكد بعد ذلك من صدقه. وكان له بنت خطبت كثيراً، فقال له:

يا مبارك: من ترى نزوج هذه البنت؟

فقال: أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين.

فأعجبه عقله.. ثم زوجه ابنته[1].

وهكذا جاء ابن المبارك في هذه الأسرة التي قامت على الورع والتقوى.

نشأ عبد الله في مرو، وكان شديد الذكاء، سمع رجلًا يخطب خطبة طويلة، فحفظها وأسمعها..

خرج في طلب العلم سنة إحدى وأربعين ومائة.

وأكثر من الترحال والتطواف في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، فرحل إلى الحرمين،

---

(١) ابن المبارك. لمحمد\عثمان جمال ص٤٤، عن وفيات الأعيان، وشذرات الذهب.

والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان، وحدث بأماكن[1].

وصنف التصانيف النافعة الكثيرة[2].

كان يعمل في التجارة، وكان رأس ماله نحو أربعمائة ألف، يدور يتجر به في البلدان، فحيث اجتمع بعالم أحسن إليه، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العبادة والزهد والعلم، وربما أنفق من رأس ماله[3].

وكان الباعث له على العمل بالتجارة أمران:

الأول ليصون وجهه عن حاجة الناس فقد قال له الفضيل يوماً: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟

فقال: يا أبا علي، إنما أفعل ذلك لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٩، ٣٨١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٠.
(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧.

الثاني: الإنفاق على العباد والزهاد وطلبة العلم. فقد قال للفضيل يوماً: لولاك وأصحابك ما أتجرت[1].

ولعل مقصوده: أنه لم يتوسع في أمر التجارة، واقتصر على ما يكفيه.

وكان كريماً.. وأخبار ذلك في تراجمه كثيرة.

وكان شجاعاً، شارك في الغزو والجهاد. وحض غيره من العلماء والزهاد على ذلك وقد توفي في بلدة هيث إثر انصرافه من إحدى الغزوات وذلك في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة. وله من العمر ثلاث وستون سنة[2]. رحمه الله تعالى.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٦.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ١٣٠.

شهادات

لاستكمال التصور عن شخصية عبد الله بن المبارك، يحسن بنا أن نتوقف قليلاً لنستمع إلى أقوال العلماء فيه، ممن عاصره والتقى به، ومن غيرهم.

قال أحمد العجلي: ابن المبارك ثقة ثبت في الحديث، رجل صالح يقول الشعر، وكان جامعاً للعلم.

وقال العباس بن مصعب: جمع عبد الله الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والمحبة عند الفرق.

وقال يحيى بن آدم: كنت إذا طلبت دقيق المسائل، فلم أجده في كتب ابن المبارك أيست منه[1].

قال عبد الله بن يزيد، قال لي الأوزاعي: رأيتَ

---

(١) هذا القول وما قبله من سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٣.

عبد الله بن المبارك؟ قلت: لا، قال: لو رأيته لقرَّت عينك.

قال عبيد بن جناد: قال لي عطاء بن مسلم: يا عبيد، رأيتَ عبد الله بن المبارك؟ قلت: نعم، قال: ما رأيت مثله، ولا ترى مثله.

قال العمري: ابن المبارك يصلح لهذا الأمر، فقال له رجل: أي شيء؟ قال: الإمامة.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأت عيناي مثل سفيان، ولا أقدم على عبد الله بن المبارك أحداً.

وقال سفيان الثوري: لو جهدت جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر.

وقال أبو إسحاق الفزاري: ابن المبارك إمام المسلمين[١].

قال ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة وأمر عبد الله، فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه[٢].

---

(١) هذا القول وما قبله من حلية الأولياء ٨/ ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٨/ ٣٩٠.

ولما بلغ هارون الرشيد موت عبد الله قال: مات سيد العلماء[1].

وقال ابن معين: ابن المبارك أمير المؤمنين في الحديث[2].

وعن عبد الله بن سنان قال: قدم ابن المبارك مكة وأنا فيها. فلما خرج شيَّعه سفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وودعاه.

فقال أحدهما: هذا فقيه أهل المشرق.

فقال الآخر: وفقيه أهل المغرب[3].

هذه الأقوال وغيرها كثير، كافية من هؤلاء الرجال الكبار في بيان مكانته، وإعطاء فكرة عن أثره في الحياة العامة، وبخاصة في الأماكن التي سافر إليها.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٢.
(٣) عبد الله بن المبارك. لمحمد عثمان جمال ص٦٨ عن تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٦.

محاور الوعظ
والتوجيه عند ابن المبارك

يلاحظ القارئ لمواعظ عبد الله بن المبارك، أنه يلح على عدد من الأمور منها:

معرفة الله تعالى:

وهذه المعرفة لا تكون إلا عن طريق العلم والتقوى، ولذا فأهل الدنيا بعيدون عنها، وهم يخرجون من الدنيا من غير أن يطعموا أطيب ما فيها، ألا وهي معرفة الله تعالى.

ولهذا فهو يدعو إلى التعلم، ويبذل ماله في مساعدة المتعلمين، ويبين آداب طالب العلم.

وبالعلم تكون معرفة القرآن، فهو يوجه من علم من القرآن ما يقيم به صلاته إلى تعلم العلم الذي يعرف به القرآن.

ونشر العلم درجة صاحبه بعد الأنبياء. فهو يقول: لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.

ترتيب الأولويات:

وتأخذ هذه القضية مكانها عند ابن المبارك في جميع جوانب الحياة. ولذا فهو يوليها العناية بقوله وبفعله، ومن ذلك:

- خرج مرة إلى الحج، فاجتاز ببعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه، وتخلف هو وراءهم، فلما مرَّ بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها، فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته، ثم أسرعت به إلى الدار.

فجاء عبد الله، فسألها عن أمرها وأخذها الميتة:

فقالت: أنا وأخي هنا، ليس لنا شيء، إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال فظلم، وأخذ ماله، وقتل.

فأمر ابن المبارك برد الأحمال، وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار.

فقال: عدَّ منها عشرين ديناراً تكفينا إلى مرو، وأعطها الباقي، فهذا أفضل من حجنا هذا العام. ثم رجع[1].

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٣.

إن إغناء هذه الفتاة عن الحاجة إلى أكل الميتة أفضل من الحج، هكذا رأى ابن المبارك. وهذا ـ والله ـ هو الفقه.

ـ ولقمة في بطن جائع أفضل من بناء مسجد، ولو عمره الإنسان وحده.

هذا ما قاله ابن المبارك، وهو تطبيق لفقه الأولويات. فسدًّ حاجة جائع لا يجد ما يسد رمقه ـ وكاد الفقر أن يكون كفراً ـ أفضل من بناء مسجد، فالصلاة يمكن أن تؤدى في المسجد وغيره، وجعلت الأرض مسجداً وطهوراً.

أما الجائع فإما أن يصبر على نفسه وتمنعه كرامته من مد يده إلى ما حرم الله فيموت جوعاً، وإما أن يلجأ إلى الجريمة من سرقة أو غصب، ويجر ذلك إلى جرائم أخرى. مما يخل بأمن المجتمع. وقضية الأمن تأتي في طليعة ما يؤمنه الإسلام لمجتمعه.

ومن هنا كانت تلك اللقمة أفضل من بناء المسجد.

ـ وطلب الحاجات الضرورية من طعام ولباس مقدم على طلب العلم.

قال الحسن بن الربيع: قال لي ابن المبارك: ما حرفتك؟

قلت: أنا بوراني.

قال: وما بوراني؟

قلت: لي غلمان يصنعون البواري.

قال: لو لم تكن لك صناعة ما صحبتني[1].

- والجهاد في سبيل الله تعالى مقدم على الاشتغال بأبواب الفقه الثانوية.

حدث عبدة بن سليمان قال:

كنا مع ابن المبارك في أرض الروم، فبينا نحن نسير ذات ليلة والسماء - يعني المطر - من فوقنا، والبلة من تحتنا. قال ابن المبارك:

يا أبا محمد، أفنينا أيامنا في الإيلاء والظهار، عن مثل هذه الليالي[2].

---

(١) عبد الله بن المبارك. لمحمد عثمان جمال ص٢٣٤ عن صيد الخاطر فقرة ٢٩٥.

(٢) المرجع قبله ص٢٢١، عن تقدمة الجرح والتعديل ص٢٨٠.

وهكذا يندم ابن المبارك على تلك الأيام التي قضاها في الفقه في الدين لأنها شغلته عن جهاد الروم.

إنه فقه الأولويات..

وهكذا نجد ابن المبارك يراعي ترتيب الواجبات وأعمال الخير. وهذا باب من العلم والفقه ما أحوج المسلمين إليه اليوم، أكثر من أي يوم مضى.

موقفه من السلطة:

يرى ابن المبارك أن وجود السلطان أمر ضروري لا غنى للناس عنه، بغض النظر عن وضعه، لأنه لولا السلطان لأكل القوى الضعيف. ويقول في هذا:

الله يدفع بالسلطان معضلة
عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل
وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

وهي نظرة حكيمة، فضرر الفوضى أكبر بكثير من ضرر السلطان الظالم.

ولكن ابن المبارك يكره ظلمهم ولذا فهو يرى أن البعد عنهم أسلم الدين المسلم، فيقول:

ليس الآمر الناهي عندنا من دخل عليهم، فأمرهم ونهاهم، إنما الآمر الناهي من اعتزلهم.

ويذهب في محاربة الظلم إلى أبعد مدى فيقول لرجل خياط سأله فقال: أنا أخيط ثياب السلاطين، فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة؟

فقال: لا، إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم.

مفهوم الزهد:

كثرت كلمات ابن المبارك عن الزهد.

فليس الزهد، الخروج عن الدنيا كلها، ولا بد للإنسان أن يمسك من الدنيا ما يصون به وجهه عن الحاجة إلى الناس.

ومن ادعى الزهد لنفسه فقد خرج من الزهد. لأن مدعي الزهد يجر لنفسه المدح والثناء من الناس.

وأول الزهد أن يزهد الإنسان بمدح الناس وثنائهم.

ويرى أن الزهاد، هم الملوك حقيقة، لأنهم ملكوا أنفسهم وضبطوها عن الحاجة إلى الناس، واستغنوا عن الدنيا بالبلغة.

موقفه من العزلة:

يرفض ابن المبارك مبدأ العزلة عن الناس، لما فيه من تعطيل للمعتزل عن المشاركة في بناء المجتمع الإسلامي، ومشاركة الصالحين في الحياة العامة، يرفع من مستوى الأداء الإسلامي في بنيان الحياة الاجتماعية.

ولذلك لما ذكر لعبد الله بن المبارك يوسف بن أسباط، وكان منكباً على العبادة بمفهومها الخاص قال:

ذكرتم قوماً يستشفى بذكرهم. ولكن إن فعل الناس جميعهم ذلك. فمن لسنن رسول الله ﷺ؟ ومن لعيادة المرضى، وشهود الجنائز؟

وهكذا كانت حجته قوية في رفض العزلة لما يترتب عليها من ترك لسنن وواجبات.

تحري الحلال:

الكسب على العيال أفضل من الجهاد، واجتناب الشبهات من قوام الدين، ورد درهم شبهة أفضل من الصدقة بآلاف الدراهم.

هذا ما وعظ به ابن المبارك وهو مأخوذ من حديث مسلم الذي جاء فيه:

(ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له)[1].

العلم والعمل.

كان الحديث في الفقرة الأولى عن ضرورة العلم للمعرفة. وفي هذه الفقرة نبين رأى ابن المبارك في أن العلم للعمل.

ليست الغاية من العلم المعرفة العلمية البحتة، وإنما يقصد العلم للعمل، فكلما زاد العلم عند الرجل، ينبغي أن يصاحبه زيادة في العمل.

فينبغي للعالم أن يتكرم عما حرم الله، وأن يرفع نفسه عن الدنيا. وهذا أثر من آثار تطبيق العلم.

ويقول عن نفسه: طلبنا العلم للدنيا، فدلنا على ترك الدنيا.

وإذا لم ينتج العلم العمل. كان حجة على صاحبه في الآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

تلك بعض المحاور التي كان ابن المبارك يوجه من خلالها، لتصب كلها بالتذكير بالآخرة الذي يلخصه ابن المبارك بكلمتين: استعد للموت، واستعد لما بعد الموت.

مَوَاعِظُ

للإمام عبد الله بن المبارك

قال تعالى:

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾.

[سورة النحل]

وقال تعالى:

﴿وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾.

[سورة النساء]

معرفة الله تعالى

قال عبد الله:

أهل الدنيا[1] خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا[2] أطيب ما فيها.

قيل: وما أطيب ما فيها؟

قال: المعرفة بالله عز وجل[3][4].

---

(١) أهل الدنيا: الذين شغلتهم الدنيا بحيث استأثرت بأوقاتهم وتفكيرهم، فلم يبق في قلوبهم مكان للآخرة.

(٢) يتطعم: يتذوق طعم.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٦٧.

(٤) معرفة الله تعالى: قال الحارث المحاسبي: تعرف أنه رقيب حفيظ عليك، وأنه واحد لا شريك له في ملكه، وأنه عندما وعد صدق، وعندما ضمن وافٍ، وعندما دعا العباد إليه مليء. وأنه رحيم ودود، سميع عليم.. لا يشغله شأن عن شأن، يعلم الخفي وفوق الخفي، والضمير والخطرات والوساوس، والهمة والإرادة، والحركة=

العلم والخوف

قال عبد الله:

أكثركم علماً، ينبغي أن يكون أشدكم خوفاً[1].

وكان يقول:

كيف يدعي رجل أنه أكثر علماً، وهو أقل خوفاً وزهداً[2].

الأخ المفقود

قال عبد الله:

ما أعياني شيء، كما أعياني: أني لا أجد أخاً في الله عز وجل[3].

= والطرفة، والغمزة والهمزة. وما فوق ذلك وما دون ذلك.. وأنه عزيز حكيم (عن رسالة شرح المعرفة، تحقيق المؤلف، طباعة دار القلم بدمشق).
أقول: المراد أن يعيش الإنسان في ظل أسماء الله وصفاته، ويستشعر جلاله وعظمته.

(١) حلية الأولياء ٨/١٦٨.
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٥١.
(٣) صفة الصفوة: ٤/١٢٥.

الورع والجهل

قال عبد الله:

لو أن رجلاً اتقى مائة شيء، ولم يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعاً.

ومن كان فيه خلة من الجهل كان من الجاهلين. أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام لما قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾[1] فقال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2][3].

الكسب على العيال

قال عبد الله:

لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل[4].

حب الدينا في القلب

قال عبد الله:

---

(١) سورة هود، الآية (٤٥).

(٢) سورة هود، الآية (٤٦).

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٦٧.

(٤) صفة الصفوة، ٤/ ١٢٥.

حب الدنيا في القلب، والذنوب احتوشته[1]، فمتى يصل الخير إليه[2].

معرفة معاني القرآن

قال عبد الله:

إذا تعلم أحدكم من القرآن ما يقيم به صلاته، فليشتغل بالعلم، فإن به تعرف معاني القرآن[3].

قبول النصيحة

قال عبد الله:

ما بقي في زماننا أحد أعرف أنه يأخذ النصيحة بانشراح قلب[4].

---

(١) احتوشته: احتوش القوم على فلان: جعلوه وسطهم؛ والمراد أن الذنوب محيطه بالقلب. من جميع جوانبه، وهذا ما يجعل وصول الخير إليه أمراً صعباً. فالوسيلة هي تقليل الذنوب.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٦٧.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٠.

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٠.

قوت يوم

قال عبد الله:

ليس من الدنيا إلا قوت اليوم فقط[(١)].

الصبر والجزع

قال عبد الله:

من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع[(٢)].

ترك الفضول

قال رجل لعبد الله: أوصني.

فقال له:

اترك فضول النظر، توفق للخشوع.

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٢.

(٢) ابن المبارك لمحمد عثمان جمال ص١٨٧ عن جامع العلوم والحكم ص١٧٢.
والمعنى: أن الصبر إنما يكون عند الصدمة الأولى، كما ورد ذلك في الحديث الشريف، وجزع الإنسان من الأمر لن يفيده أي متعة.

واترك فضول الكلام، توفق للحكمة.

واترك فضول الطعام، توفق للعبادة.

واترك التجسس على عيوب الناس، توفق للاطلاع على عيوب نفسك.

واترك الخوض في ذات الله توقَ الشك والنفاق[1].

الاطمئنان إلى النفس

قال رجل لعبد الله: إني لأرى نفسي أحسن حالاً ممن قتل نفساً ظلماً.

فقال له: إن أمنك على نفسك لشر ممن قتل نفساً ظلماً[2].

---

(١) تنبيه المغترين ص٨٨.

(٢) تنبيه المغترين ص١٦٦.

والمعنى: أن اطمئنان الإنسان إلى عمله وعدم خوفه ذنب أكبر من قتل النفس وفي الحديث المتفق عليه قال ﷺ: (لن يدخلَ أحداً عملُه الجنة) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (لا، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة) [خ٥٦٧٣، م٢٨١٦].

معاشرة لا بد منها

قال محمد بن الحنفية:

ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرتِه بداً، حتى يجعل الله له فرجاً.

قال عبد الله بن المبارك: هذا مثلي ومثلكم[1].

مع الصحابة والتابعين

قال شقيق: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا، لم لا تجلس معنا؟

قال: اذهب مع الصحابة والتابعين.

قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟

قال: اذهب انظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس[2].

ثلاثة لا يستخف بها

قال عبد الله:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٦٢.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٦٤.

على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء، والسلطان والإخوان.

فإن من استخف بالعلماء ذهبت آخرته.

ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه.

ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته[1].

توقير العلم

قال بشر بن الحارث: سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشي.

قال: ليس هذا من توقير العلم.

قال بشر: فاستحسنته جداً[2].

النية والعمل

قال عبد الله:

ربَّ عمل صغير تعظمه النية، وربَّ عمل كبير تصغره النية[3].

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥١.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٦٦.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥١ والمراد أن النية =

أربع كلمات

قال عبد الله:

أربع كلمات انتخبن من أربعة آلاف حديث:

- لا تثقن بامرأة.
- ولا تغترن بمال.
- ولا تحمل معدتك ما لا تطيق.
- وتعلم من العلم ما ينفعك فقط[١].

دعوى الزهد

قال عبد الله:

دعواك الزهد من نفسك يخرجك من الزهد، لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة[٢].

بين الرياء والشرك

قال عبد الله:

= الخالصة لله في العمل الصغير تجعله كبيراً، وقد يكون العمل كبيراً ولكن الخلل في النية كأن بداخلها الرياء، يذهب ثواب العمل أو معظمه فيجعل العمل صغيراً.

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥١.

(٢) المصدر قبله ١/ ٥١ وصفة الصفوة ٤/ ١٢٣.

لو أن رجلين اصطحبا في الطريق، فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين، فتركهما لأجل صاحبه كان ذلك رياء، وإن صلاهما من أجل صاحبه فهو شرك[1].

والقرآن يلعنه

قال عبد الله:

كم من حامل للقرآن، والقرآن يلعنه من جوفه، وإذا عصى حامل القرآن ربه، ناداه القرآن من جوفه: والله ما لهذا حملت، ألا تستحي من ربك؟![2].

الدنيا سجن المؤمن

قال عبد الله:

الدنيا سجن المؤمن، وأعظم أعماله في السجن: الصبر وكظم الغيظ.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٧١، والمعنى أنه أراد أن يصلي ركعتين، فإذا تركهما حتى لا يظن صاحبه به صلاحاً، فهو رياء لأنه قام بعمل ـ وهو ترك الصلاة ـ مراءاة لصاحبه، فالباعث على الترك وجود الصاحب.
وإذا كان الدافع للقيام بصلاتهما هو أن يراه صاحبه، فهو شرك، أي أشرك في نيته في العمل فجعله لله من جانب ولصديقه من جانب آخر.

(٢) تنبيه المغترين ص١٨١.

وليس للمؤمن في الدنيا دولة[1]، وإنما دولته في الآخرة[2].

مقبرة ومزبلة

مر عبد الله براهب عند مقبرة ومزبلة فقال:

يا راهب! عندك كنز الرجال، وكنز الأموال، وفيهما معتبر[3].

الكلام الذي من فضة

سئل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه، إن كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب. فقال:

معناه: لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب[4].

---

(١) المراد بالدولة السلطان الذي يعني الراحة والسرور.
(٢) تنبيه المغترين ص٨٣.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٩، والمقيرة هي كنز الرجال، والتي فيها يدخرون، والمزبلة فيها مآل الأموال.
(٤) ابن المبارك لمحمد عثمان جمال ص١٨٧ عن جامع العلوم والحكم ص١١٧.

المعاصي الظاهرة والباطنة

قال عبد الله:

من دخل النار بالمعاصي الظاهرة، أخف ممن دخلها بالرياء والسمعة[1].

العالم

سئل عبد الله: ما ينبغي للعالم أن يتكرم عنه؟

قال: ينبغي أن يتكرم عما حرم الله تعالى عليه، ويرفع نفسه عن الدنيا فلا تكون منه على بال[2].

من تجالس؟

قال عبد الله:

ليكن مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة[3].

اجتناب الشبهة

قال عبد الله:

---

(١) تنبيه المغترين ص٩٥.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٦٧.

(٣) سيرة أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٩.

لأن أردَّ درهماً من شبهة، أحب إليّ من أن أتصدق بمائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف ـ حتى بلغ ستمائة ألف[1].

التواضع

سئل عبد الله عن التواضع فقال:

التكبر على الأغنياء[2].

صحيح الحديث

قال عبد الله:

في صحيح الحديث شغل عن سقيمه[3].

اختلاف الصحابة

قال عبد الله:

السيف الذي وقع بين الصحابة فتنة، ولا أقول لأحد منهم: هو مفتون[4].

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥١ وصفة الصفوة ٤/ ١٢٤.
(٢) الطبقات الكبرى الشعراني ١/ ٥١.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٣ وهذا القول في غاية الجودة. ففي الأحاديث الصحيحة ما يغني عن الأحاديث الضعيفة.
(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٥.

مخالفة المرجئة

قيل لابن المبارك: إن شيبان يزعم أنك مرجئ؟!

فقال: كذب شيبان، أنا خالفت المرجئة في ثلاثة أشياء:

- فإنهم يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل.

وأنا أقول: هو قول وعمل.

- ويزعمون أن تارك الصلاة لا يكفر.

وأنا أقول: إنه يكفر.

- ويزعمون: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وأنا أقول: إنه يزيد وينقص[1].

القلب

قال ابن المبارك:

القلب مثل المرآة، إذا طالت في اليد صدئت، وكالدابة: إذا غُفِل عنها عدلت[2].

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٢.

(٢) رسالة المسترشدين للمحاسبي. تحقيق أبي غدة ص١١٥.

وفي هذا المعنى قال شاعر الإسلام إقبال:

لـحـظـة يـا صـاحـبـي إن تـغـفـل
ألــف مــيــل زاد بــعــد الــمــنــزل

الدخول في الفتنة

قال عبد الله بن المبارك، عن أشياخ أهل الشام:

من أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولاً، لم ينج منها آخراً وإن كان جاهداً[1].

الزهد والغنى

قال الفضيل لابن المبارك:

أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟

قال:

يا أبا علي، إنما أفعل ذلك لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي.

قال: يا ابن المبارك: ما أحسن ذا إن تمَّ ذا[2].

العلم والدنيا

قال عبد الله:

عجبت لطالب العلم، كيف تدعوه نفسه إلى

---

(١) حاشيه المرجع السابق ص١١٨ عن الحاكم في تاريخه.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧.

محبة الدنيا، مع إيمانه بما حمل من العلم[1] وقال:

من شرط العالم أن لا تخطر محبة الدنيا على باله[2].

الشرب لعطش القيامة

قال سويد بن سعيد:

رأيت ابن المبارك بمكة، أتى زمزم، فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة فقال: اللهم إن ابن المؤمل حدثنا عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: (ماء زمزم لما شرب له)[3].

وهذا أشربه لعطش القيامة[4]. ثم شربه[5].

---

(١) والمعنى أن العلم يبين حقيقة الدنيا وأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة فكيف بعد هذا يحب الدنيا، وفرق بين حب الدنيا وبين العمل فيها ليكف الإنسان نفسه عن حاجة غيره من الناس.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد المسند ٣/ ٣٥٧ وابن ماجه، والحاكم في المستدرك عن ابن عباس.

(٤) هكذا كانوا رحمهم الله تعالى، يشغلهم أمر الآخرة ويملك عليهم أفكارهم واهتماماتهم. وكثير من الناس يذهبون في معنى الحديث إلى ما يهمهم من أمور الدنيا ولكن ابن المبارك يذهب به إلى يوم القيامة.

(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٣.

فقدان الشيخ المؤدب

قال ابن المبارك:

طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون[1].

تعليم الجاهل

قال ابن حميد: عطس رجل عند ابن المبارك فلم يحمد الله.

فقال ابن المبارك: إيش يقول العاطس إذا عطس؟

قال: يقول: الحمد لله.

فقال له: يرحمك الله[2].

من لسنن رسول الله؟

ذكر لعبد الله ما كان عليه يوسف بن أسباط من العبادة.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٦٩ والأدب هو ما جاء به الإسلام من الآداب الظاهرة والباطنة.
والمؤدبون: هم العلماء الذين يعلمون الناس بسلوكهم وتطبيقهم العملي لهذه الآداب. والمراد قلتهم لا فقدانهم.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٧٠.

فقال: ذكرتم قوماً يستشفى بذكرهم، ولكن إن فعل الناس جميعهم ذلك، فمن لسنن رسول الله ﷺ؟ ومن لعيادة المرضى وشهود الجنائز؟ وعدد أنواعاً من القرب[1].

رائحة الحسنات

قيل لعبد الله: كيف تعلم الملائكة أن الإنسان قد همَّ بحسنة؟

فقال: يجدون ريحها[2].

ذكر الصالحين

قال عبد الله:

إن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين[3].

فضل الوقت

قال رجل لابن المبارك: يا أبا عبد الرحمن، في أي شيء أجعل فضل يومي؟ في تعلم القرآن أو في طلب العلم؟

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥١.
(٢) المصدر قبله ١/ ٥١.
(٣) المصدر قبله ١/ ٥١.

فقال: هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟

قال: نعم.

قال: فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن[1].

غرور لا جرأة

قال عبد الله:

لا يقول أحدكم: ما أجرأ فلاناً على الله تعالى، فإن الله تعالى أكرم من أن يجترأ عليه، ولكن ليقل: ما أغرَّ فلاناً بالله[2].

هل من ناصح؟

قال رجل لابن المبارك: هل بقي من ينصح؟

قال: فهل تعرف من يقبل؟[3].

الزهد مع إمساك المال

قال عبد الله:

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٦٥.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٢.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٦٦ وصفة الصفوة ٤/ ١٢٨.

لا يُخرِجُ العبدَ عن الزهد إمساكُ الدنيا، ليصون بها وجهه عن سؤال الناس[1].

لا مكارم مع الجهل

قال عبد الله:

عجبت لمن لم يطلب العلم، كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة[2].

الخمول

قال عبد الله:

كن محباً للخمول[3]، كارهاً للشهرة، ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول، فترفع نفسك. فإن

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٨.

(٣) الخمول: الخامل: الساقط الذي لا نباهة له ولا ذكر. والخمول هنا في مقابل الشهرة فمن أحب الخمول فقد كره الشهرة.
والمعنى: أحب الخمول وعدم الشهرة، ولا تعر من نفسك اهتماماً لهذا الأمر، لأنك لو فعلت ذلك لكنت ممن يرفع نفسه بحب الخمول.

دعواك الزهد من نفسك. هو خروجك من الزهد، لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة[1].

ما كتبتها بعدُ

قيل لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن إلى متى تكتب هذا الحديث؟

فقال: لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كتبتها بعد[2].

اعرف قدرك

قال رجل لابن المبارك: أوصني.

قال: اعرف قدرك[3].

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥١، وصفة الصفوة ٤/ ١٢٣.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ١٢٤. والمعنى: كثيرة هي الكلمات التي غيرت مجرى الحياة لكثير من الأشخاص، فهو يقول: إن الكلمة التي لها هذا الفعل، ربما لم أكتبها بعد، فأنا أتابع الكتابة علَّها تأتي.

(٣) صفة الصفوة ٤/ ١٢٨.

إذا عرف قدر نفسه

قال عبد الله:

إذا عرف الرجل قدر نفسه، يصير عند نفسه أذل من الكلب[1].

الأدب

قال عبد الله:

كاد الأدب يكون ثلثي الدين[2].

أصناف الناس

قال سنيد بن داود: سألت ابن المبارك: من الناس[3]؟

---

(١) حلية الأولياء ٨/١٦٨، وذلك بسبب تقصيره الذي يظهر عندما يحاسب نفسه.

(٢) صفة الصفوة ٤/١٢٨ الدين يشمل الفرائض والآداب والأخلاق. ولا شك بأن الآداب الاجتماعية والنفسية والأخلاق الطيبة المطلوبة من حيث كميتها هي أكثر من الفروض.

(٣) الناس: تطلق على الإنس والجن، جمع إنس، وأصله أناس جميع عزيز أدخل عليه أل. =

قال: العلماء.

قلت: فمن الملوك؟

قال: الزهاد[١]؟

قلت: فمن الغوغاء؟

قال: خزيمة وأصحابه[٢].

قلت: فمن السفلة؟

= وإذا أطلق في مثل هذا التعبير فالمراد ذروة الناس، أو الذين يستحقون اسم «الناس» لما يحملون من صفات الخير ومعاني السمو الإنساني.

ولذا قال: العلماء، فالعلماء هم خلاصة الأمة وذروتها لأنهم الهداة إلى معاني الخير ومعادن السمو. وهم عند ابن المبارك: سفيان الثوري وأمثاله.

(١) الزهاد هم الملوك حقاً، لأنهم ملكوا أنفسهم تماماً، وسيروها فيما رأوا أنه الحق من اعتزال الدنيا دون الحاجة إلى الناس. وفي مثل هذا المعنى ورد قوله تعالى في سورة المائدة الآية (٢٠) ﴿**وجعلكم ملوكاً**﴾ أي تملكون أنفسكم كما في تفسير ابن كثير.

(٢) الغوغاء: الكثير المختلط من الناس، ومثل بخزيمة وهو من الأمراء الظلمة. الذين يكونون في هوى السلطان.

قال: الذين يعيشون بدينهم[1][2].

سلطان الزهد

قال عبد الله:

سلطان الزهد أعظم من سلطان الرعية.

لأن سلطان الرعية لا يجمع الناس إلا بالعصا.

والزاهد ينفر من الناس فيتبعوه[3].

---

(١) أي الذين يجعلون دينهم وسيلة لكسب عيشهم والوصول إلى حطام الدنيا.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٦٧ وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٩.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥١.

ويفسر هذه الحكمة أو الموعظة القصة التالية وقد ذكرها الشعراني في الطبقات ١/ ٥١ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٤.

قال أشعث بن شعبة: لما قدم هارون الرشيد الرقة، ورد عبد الله بن المبارك فانجفل - أسرع - الناس إليه، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة. فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج قصر الخشب، فلما رأت الناس وكثرتهم، قالت: ما هذا؟

قالوا: عالم خراسان.

فقالت: والله هذا هو الملك، لا ملك هارون الرشيد، الذي يجتمع الناس إليه بالسوط والعصا والشرط والأعوان.

خير ما أعطي الإنسان

قال حبيب الجلاَّب:

سألت ابن المبارك: ما خير ما أعطي الإنسان؟

قال: غريزة عقل.

قلت: فإن لم يكن؟

قال: حسن أدب.

قلت: فإن لم يكن؟

قال: أخ شفيق يستشيره.

قلت: فإن لم يكن؟

قال: صمت طويل.

قلت: فإن لم يكن؟

قال: موت عاجل[1].

البخل بالعلم

قال عبد الله:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٧.

من بخل بالعلم ابتلي بثلاث:

- إما موت يُذْهِب علمه.

- وإما ينسى.

- وإما يلزم السلطان فيذهب علمه[1].

المحاسن والمساوى

قال عبد الله:

إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ. وإذا غلبت المساوئ على المحاسن، لم تذكر المحاسن[2].

لا تأمن من أربع

قال عبد الله:

إن البصراء لا يأمنون من أربع:

ذنبٍ قد مضى لا يُدرى ما يصنع فيه الرب عز وجل.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٨.

وعمرٍ قد بقي، لا يُدرى ما فيه من الهلكة.

وفضل قد أعطي العبد لعله مكر واستدراج.

وضلالة قد زُينت يراها هدى، وزيغ قلب ساعة، فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر(١).

مع النبي ﷺ

قال نعيم بن حماد: كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته.

فقيل له: ألا تستوحش؟

فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ(٢).

بعد المائتين

قال عبد الله:

إذا كانت سنة مائتين، فالبعد من كثير من الناس

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٦.

(٢) صفة الصفوة ٤/١٢٢ والمراد: أنه يقضي على الوحشة الحاصلة من انفراده، بقراءة أحاديث رسول الله ﷺ فيكون كأنه معه يسمع كلامه.

أقرب إلى الله، وفرَّ من الناس كفرارك من أسد، وتمسك بدينك يسلم لك[1].

وقال: إذا كانت سنة مائتين ففروا من الناس، إلا لحضور واجب[2].

طلب العلم

قال عبد الله:

طلبنا العلم للدنيا، فدلنا على ترك الدنيا[3].

فعل الخير

قال عبد الله:

إن الصالحين ـ فيما مضى ـ كانت أنفسهم تواتيهم[4] على الخير عفواً[5]، وإن أنفسنا لا تكاد

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٢٣.
ولعل الدافع لعبد الله إلى هذا القول هو ما رآه من الانحراف عن دين الله والبعد عن تطبيق أحكامه، وما ندري ماذا سيكون قوله لو كان يعيش أيامنا هذه في الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري؟!

(٢) طبقات الشعراني ١/ ٥٠.

(٣) صفة الصفوة ٤/ ١٢٨.

(٤) تواتيهم: توافقهم.

(٥) عفواً: بديهة بغير تكلف.

تواتينا إلا على كره، فينبغي لنا أن نكرهها[1].

أفضل الرباط

سأل رجل عبد الله عن الرباط، فقال:

رابط بنفسك على الحق، حتى تقيمها على الحق، فذلك أفضل الرباط[2].

أحب الصالحين

قال عبد الله:

أحب الصالحين ولست منهم، وأبغض الطالحين، وأنا شر منهم ثم أنشأ يقول:

الصمت أزين بالفتى
من منطق في غير حينه
والصدق أجمل بالفتى
في القول عندي من يمينه
وعلى الفتى بوقاره
سمة تلوح على جبينه

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٢٩.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٧١.

فـمـن الـذي يـخـفـى عـلـيـك

إذا نــظــرت إلــى قــريــنــه

ربَّ امـــرئ مـــتـــيـــقـــن

غـلـب الـشـقـاء عـلـى يـقـيـنـه

فـــأزالـــه عـــن رأيـــه

فـــابـــتـــاع دنـــيـــاه بـــديـــنـــه[1]

اختيار طالب علم

من عبيد بن جناد قال:

عرضت لابن المبارك فقلت: أملِ عليَّ.

فقال: أقرأت القرآن؟

قلت: نعم.

قال: اقرأ. فقرأت عشراً.

فقال: هل علمت ما اختلف الناس فيه من الوقوف والابتداء؟

قلت: أبصر الناس بالوقوف والابتداء.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٧٠.

فقال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾؟

قلت: آية.

قال: فالألفاظ؟

قلت: عبقري وعباقري، ورفرف ورفارف..

قال: فالحديث سمعته من أحد غيري؟

قلت: نعم.

قال: فحدثني.

قال: فحدثته في المناسك بأحاديث.

فقال لي: أحسنت، ثم قال: أخرج ألواحك. فأخرجت.

ثم قال لي: من أين أنت؟

قلت: من بغداد.

قال: قم.

قلت: هل رأيت إلا خيراً؟

قال: قم.

قلت: امرأة الآخر طالق ثلاثاً، إن قمت أو تملي عليّ.. أقولها أربعاً.

قال: اكتب..

أيها القارئ الذي لبس الصو
ف وأمسى يُعدُّ في الزهاد

الزم الثغر والتواضع فيه
ليس بغداد منزل العباد

إن بغداد للملوك محلٌ
ومُناخ للقارئ الصياد

قلت: من الناس؟

قال: العلماء.

قلت: من الملوك؟

قال: الزهاد.

قلت: من الغوغاء؟

قال: هرثمة وخزيمة بن خازم ـ كلاهما من قواد الرشيد والمأمون ـ.

قلت: من السفلة؟

قال: من باع دينه بدنيا غيره[1].

---

(١) عبد الله بن المبارك، لمحمد عثمان جمال ص٢٢٥، عن الإلماع للقاضي عياض ص٢٣٨.

تعريف الزاهد

قال عبد الله بن المبارك:

الزاهد هو الذي إن أصاب الدنيا لم يفرح، وإن فاته لم يحزن[1].

الدخول على السلطان

قال عبد الله:

ليس الآمر الناهي عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم، إنما الآمر الناهي من اعتزلهم[2].

أعوان الظلمة

قال رجل خياط لابن المبارك: أنا أخيط ثياب السلاطين، فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة؟

---

(١) حاشية رسالة المسترشدين. لأبي غدة، عن ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣/ ٤٠.

(٢) عبد الله بن المبارك لمحمد عثمان جمال ص٢٣٦. عن شرح حديث «ما ذئبان جائعان» لابن رجب الحنبلي.

قال: ثم علل ابن رجب ذلك فقال: وسبب هذا ما يخشى من فتنة الدخول عليهم، فإن النفس قد تخيل للإنسان إذا كان بعيداً عنهم: أنه يأمرهم وينهاهم ويغلظ عليهم، فإذا شاهدهم قريباً مالت النفس إليهم.

قال: لا، إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة، أما أنت فمن الظلمة نفسهم[1].

رأس التواضع

قال ابن المبارك:

رأس التواضع: أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل[2].

الزاهد

قيل لابن المبارك: يا زاهد.

فقال: الزاهد عمر بن عبد العزيز. إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها. وأما أنا ففيما زهدت؟[3].

أفضل الزهد

قال ابن المبارك: أفضل الزهد أخفاه[4].

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٣.
(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٤٢.
(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ٢١٧.
(٤) البيان والتبيين ٣/ ١٦٨.

جوهرة في مزبلة

عن حسان وسويد، صاحبا ابن المبارك قالا:

لما خرج ابن المبارك إلى الشام مرابطاً، خرجنا معه، فلما نظر إلى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسرايا في كل يوم، التفت إلينا فقال:

إنا لله وإنا إليه راجعون على أعمار أفنيناها، وأيام وليال قطعناها في علم الشعر، وتركنا ها هنا أبواب الجنة مفتوحة.

قال: فبينما هو يمشي ونحن معه في أزقة المصيصة، إذا نحن بسكران قد رفع صوته يغني:

أذلني الهوى فأنا الذليل

وليس إلى الذي أهوى سبيل

فأخرج برنامجاً من كمه، فكتب البيت،

فقلنا له: أتكتب بيت شعر سمعته من سكران؟

قال: أما سمعتم المثل: ربَّ جوهرة في مزبلة[1].

---

(١) العقد الفريد ٦/ ٢١.

فائدة الثراء

قال عبد الله بن المبارك:

لا أرى لصاحب عشرة آلاف درهم أن يدع الكسب، فإنه إن لم يفعل لم آمن أن لا يعطف على جاره، ولا يوسع على عياله[١].

الكبر والعجب

قال أبو وهب المروزي: سألت ابن المبارك: ما الكبر؟

قال: أن تزدري الناس.

فسألته عن العجب؟

قال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب[٢].

أدب العلماء

سئل ابن المبارك بحضور سفيان بن عيينة مسألة، فقال: إنا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا[٣].

---

(١) المنتظم لابن الجوزي ٩/ ١٦١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٠.

دليل التقوى

قال عبد الله بن المبارك:

قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: يا بني إنما يستدل على تقوى الرجل بثلاثة أشياء:

- بحسن توكله على الله فيما نابه.
- وبحسن رضاه فيما آتاه.
- وبحسن صبره فيما ابتلاه[1].

طالب العلم

قال عبد الله بن المبارك:

لا يزال المرء عالماً، ما طلب العلم، فإذا ظنَّ أنه قد علم فقد جهل[2].

فمن؟

قال عبد الله:

إن العلماء ورثة الأنبياء، فإذا كانوا على طمع فبمن يقتدى؟

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي برقم ٩٦٦.

(٢) إحياء علوم الدين ١/٥٩.

والتجار أمناء الله، فإذا خانوا فمن يؤتمن؟

والغزاة أضياف الله، فإذا غلّوا، فبمن يظفر على العدو؟

والزهاد ملوك الأرض، فإذا كانوا ذوي رياء، فمن يتبع؟

والولاة رعاة الأنام، فإذا كان الراعي ذئباً، فبمن تحفظ الرعية؟[1].

الموعظة والفقه

قال عبد الله بن المبارك:

إن وجدت على الحائط موعظة، فانظر فيها تتعظ.

قيل: فالفقه؟

قال: لا يستقيم إلا بالسماع[2].

العالم الصادق

قيل لعبد الله: كيف يعرف العالم الصادق؟

---

(١) ابن المبارك، لمحمد جمال ص١٨٨.

(٢) صفحات من صبر العلماء، لعبد الفتاح أبي غدة ص٤.

قال: الذي يزهد في الدنيا، ويقبل على أمر آخرته[1].

الشكر

سئل عبد الله فقيل له: ما ينبغي أن يجعل شكرنا له؟

قال: زيادة آخرتكم، ونقصان دنياكم.

وذلك: أن زيادة آخرتكم لا تكون إلا بنقصان دنياكم، وزيادة دنياكم لا تكون إلا بنقصان آخرتكم[2].

لقمة في بطن جائع

قال عبد الله:

لقمة في بطن جائع، أرجح في ميزاني من عمارة المسجد، لو عمرته وحدي[3].

مكانة العلم

قال عبد الله:

---

(١) الورع للإمام أحمد ص٧٤.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٦٧.

(٣) تنبيه المغترين ص١٦٨.

لا أعلم بعد النبوة أفضل من بثِّ العلم[1].

يغتاب والديه

اغتاب رجل في مجلس عبد الله شخصاً، فقال:

إن أردتم أن تغتابوا اغتابوا أبويكم، لئلا يرد أجر عملكم إلى الأجنبي، بل إليهما[2].

وقال:

لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والدي، لأنهما أحق بحسناتي من غيرهما[3].

التوبة من الغيبة

قال عبد الله:

التوبة من الغيبة: أن تستغفر لمن اغتبته.

فقال له سفيان بن عيينة: بل تستغفره مما قلت فيه[4].

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٢٤.

(٢) ابن المبارك، لمحمد عثمان جمال: عن كنوز الأولياء، مخطوط ص٨٧.

(٣) تنبيه المغترين ص١٣٠.

(٤) أي تطلب السماح من الشخص الذي اغتبته.

فقال ابن المبارك: لا تؤذه مرتين[1].

ألذ الأشياء

قال عبد الله بن المبارك:

ألذ الأشياء.

- مجالسة الإخوان.
- والانقلاب إلى كفاية[2].
- والمودة الدائمة في الله[3].

استعد للموت

قال عبد الله:

استعد للموت، ولما بعد الموت[4].

طواف

قال عبد الله:

---

(١) ابن المبارك. عن بهجة المجالس ص١/ ٣٩٨.
(٢) أي أن يكون لدى الإنسان كفاية في أمر معاشه، فلا يكون محتاجاً لغيره.
(٣) إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٧.
(٤) حلية الأولياء ٨/ ١٦٨.

إن الرجل ليطوف بالكعبة، وهو يرائي أهل خراسان.

فقيل له: وكيف ذلك؟

قال: يحب أن يقول فيه أهل خراسان: إن فلاناً مجاور بمكة على طواف وسعي، فهنيئاً له[1].

شبكة العلم

قال عبد الله:

قد غلب على القراء في هذا الزمان أكل الحرام والشبهات، حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم، واتخذوا علمهم شبكة يصطادون بها الدنيا[2].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٩٧ وتنبيه المغترين ص١٣.

(٢) تنبيه المغترين ص١٩.

من مَواعِظ
الإمام عبد الله بن المبارك
في شِعْرِه

المقتدى بفعالهم

وقال عبد الله في التأسف على من مضى من الصالحين:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيتُ في خلف يزيِّن بعضهم
بعضاً ليأخذ مُعوِرٌ عن معور
ركبوا ثنيّات الطريق فأصبحوا
متنكبين عن الطريق الأكبر
ما أقرب الأشياء حين يسوقها
قدَر، وأبعدها إذا لم تقدر
العلم زين للرجال مروءة
والعلم أنفع من كنوز الجوهر
أأخيَّ إن من الرجال بهيمة
في صورة الرجل السميع المبصر

فطن لكل مصيبة في ماله

وإذا يصاب بدنيه لم يشعر(١)

لبس الصوف

وقال في ذم النسك بعيداً عن الجهاد:

أيها الناسك الذي لبس الصو

فَ وأضحى يعدُّ في العبَّاد

الزم الثغر والتعبّد فيه

ليس بغداد مسكن الزهاد

إن بغداد للملوك محلٌّ

ومناخ للقارئ الصياد(٢)

انتفاع العالم بعلمه

وقال في تذكير العلماء:

فكيف قرت لأهل العلم أعينهم

أو استلذوا لذيذ النوم أو هجعوا

---

(١) عبد الله بن المبارك. لمحمد عثمان جمال. عن بهجة المجالس ١/ ٧٩٩.

(٢) المرجع قبله عن تاريخ بغداد ١/ ٢١.

والـنـار ضـاحـيـة لا بـدًّ مـوْردهـا
وليس يدرون من ينجو ومن يقع

وطارت الصحف في الأيدي منشَّرة
فـيـهـا الـسـرائـر والـجـبَّار مـطـلـع

إما نـعـيـمٌ وعـيـشٌ لا انـقـضـاء لـه
أو الـجـحـيـم فـلا تـبـقـي ولا تـدع

تـهـوي بـسـاكـنـهـا طـوراً وتـرفـعـه
إذا رجوا مخرجاً من غيها منعوا

لينفع العلم قبل الموت عالمه
قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا(١)

تولى القضاء

وتولى إسماعيل بن علية القضاء، فكتب إليه عبد الله :

يـا جـاعـلَ الـعـلـمِ لـه بـازِيـاً
يـصـطـاد أمـوال الـمـسـاكـيـن

احـتـلـت لـلـدنـيـا ولـذاتـهـا
بـحـيـلـةٍ تـذهـبُ بـالـديـن

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١٣.

فصرت مجنوناً بها بعدما

كنت دواءً للمجانين

أين رواياتك في سردها

عن ابن عونٍ وابن سيرين

أين رواياتك فيما مضى

في ترك أبواب السلاطين

إن قلت: أكرهتُ فما هكذا

زل حمار العلم في الطين[1]

التجارة بالدّين

قال عبد الله في الذين يبيعون دينهم بدنياهم، ويكون علمهم وسيلة لذلك:

قد يفتح المرء حانوتاً لمتجره

وقد فتحتَ لك الحانوتَ بالدين

بين الأساطين حانوت بلا غلقٍ

تبتاع بالدين أموال السلاطين

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١١.

صيرَّت دينك شاهينا تصيدُ به

وليس يفلح أصحاب الشواهين[1]

وقال أيضاً:

أرى رجالاً بدون الدين قد قنعوا

ولا أراهم رضوا في العيش بالدونِ

فاستغنِ بالله عن دنيا الملوك كما

استغنى الملوك بدنياهم عن الدين[2]

اختيار الصاحب

وقال ابن المبارك بشأن اختيار الصاحب:

وإذا صاحبت فاصحب ماجداً

ذا عفاف وحياء وكرم

قائلاً للشيء لا إن قلت: لا

وإذا قلت نعم قال نعم[3]

---

(١) عبد الله بن المبارك. لمحمد عثمان جمال عن وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٩.

(٢) المصدر قبله عن بهجة المجالس ٢/ ٣١٣.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥١.

يا عابد الحرمين

بعث عبد الله بن المبارك برسالة إلى الفضيل بن عياض يحضه فيها على الجهاد وكان فيها هذه الأبيات، وذلك سنة سبع وسبعين ومائة:

يا عابد الحرمين[1] لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رَهَجُ السنابك[2] والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبيِّنا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في
أنف امرئ ودخان نار تلهب

---

(١) أي يا عابد ربه في الحرمين.

(٢) الرهج: الغبار، والسنابك: أطراف حوافر الخيل.

هـذا كـتـاب الله يـنـطـق بـيـنـنـا

ليس الشهيد بميّتٍ لا يكذب[1]

سلامة الصدر للصحابة

وقال عبد الله في سلامة الصدر لجميع الصحابة:

إني امرؤ ليس في ديني لغامزه

ليّنٌ ولستُ على الإسلام طعاناً

فـلا أسـب أبـا بـكـرٍ ولا عـمـراً

ولـن أسـبَّ ـ مـعـاذ الله ـ عـثـمـانـاً

ولا ابـنَ عـم رسـولِ اللّـهِ أشـتـمـه

حتى أُلبَّس تحت الترب أكفانا

ولا الـزبـيـر حـواريَّ الـرسـولِ ولا

أهدي لطلحة شتماً عزَّ أوهانا

لا بد من السلطان

وقال في آخر قصيدته السابقة يبين ضرورة وجود السلطان، والحاجة إليه:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١٢.

الله يـدفـع بـالـسـلـطـان مـعـضـلـة

عـن ديـنـنـا رحـمـة مـنـه ورضـوانـا

لـولا الأئـمـة لـم تـأمـن لـنـا سـبـل

وكـان أضـعـفـنـا نـهـبـاً لأقـوانـا[1]

آداب النفس

وقال في آداب النفس:

جربت نفسي فما وجدتُ لها

من بعد تقوى الإله كالأدب

في كل حالاتها وإن كرهت

أفضلَ من صمتها عن الكذب

أو غيبةِ الناس إنَّ غيبتهم

حرَّمها ذو الجلال في الكتب[2]

قلت لها طائعاً وأُكرهها

الحلم والعلم زينُ ذي الحسب

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١٣ ـ ٤١٤.

(٢) الشطر الثاني فيه خليل في الوزن.

إن كـان مـن فـضـة كـلامـك يـا

نفس فإن السكوت من ذهب[1]

الشيب

وقال عبد الله في الشيب:

أبـإذن نـزلـتَ بـي يـا مَـشِـيـب؟

أي عيش ـ وقد نزلت ـ يطيب

وكفى الشيبُ واعظاً غيرَ أني

آمل العيش والممات قريب

كم أنادي الشباب إذ بانَ مني

ونـدائـي مُـوَلِّـيـاً مـا يـجـيـب[2]

مسلمات في الأسر

وقال عبد الله في المسلمات اللواتي في الأَسْر:

كيف القرار وكيف يهدأ مسلمٌ

والمسلمات مع العدو المعتدي

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١٦.

الـضـاريـاتُ خـدودهـن بـرنَّـةٍ

الـداعـيـاتُ نـبـيَّـهـن مـحـمـدِ

القـائـلات إذا خـشـيـن فـضـيـحـة

جـهـد الـمـقـلِّ: لـيـتـنـا لـم نـولـد

مـا تـسـتـطـيـع ومـالـهـا من حـيـلـة

إلا الـتـسـتـر من أخـيـهـا بـالـيـد[١]

الحر

وسـمـع بعـضـهـم ابـن الـمـبـارك ينـشـد عـلـى سـور طرسوس:

ومـن الـبـلاء ولـلـبـلاء عـلامـة

أن لايـرى لـك عـن هـواك نـزوع

العـبـد عـبـد الـنـفـس في شـهـواتـهـا

والـحـر يـشـبـع مـرة ويـجـوع[٢]

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١٧.

المحتوى

شعره في المواعظ

مِنَ المَـرَاجِع

١ ـ حلية الأولياء، للحافظ الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢ ـ سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط١.
٣ ـ البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، ط١، عاما ١٩٦٦م.
٤ ـ طبقات ابن سعد.
٥ ـ الطبقات الكبرى، للشعراني.
٦ ـ تنبيه المغترين، للشعراني.
٧ ـ البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.
٨ ـ العقد الفريد، لابن عبد ربه، دار إحياء التراث العربي.
٩ ـ صفة الصفوة، للإمام ابن الجوزي.
١٠ ـ عبد الله بن المبارك، لمحمد عثمان جمال، سلسلة أعلام المسلمين، دار القلم بدمشق.
١١ ـ إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي.
١٢ ـ صفحات من صبر العلماء، عبد الفتاح أبو غدة.
١٣ ـ الورع، للإمام أحمد.
١٤ ـ الزهد الكبير، للبيهقي.
١٥ ـ المنتظم، للإمام ابن الجوزي.